مكتبة الخضراء للأطفال

مُغامَراتُ السِّندباد البحْري

الرِّحلة الثالثة

تأليف : قاسم بن مهني

دار اليمامة للنشر والتوزيع - تونس

مكتبة الخضراء للأطفال

قصة
ابن

مُغامَراتُ السّندباد البَحْري

الرّحلة الرّابعة

~~1142~~
~~9660~~
~~3769~~
~~1059~~
٨467
وزارة الثقافة
إدارة المطالعة العمومية

تأليف : قاسم بن مهنّي
رسوم : المنصف الكاتب
خطوط : المنجي عمّار

دار اليمامة للنشر والتوزيع - تونس

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

وَلَمَّا حَضَرَ ٱلْحَمَّالُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ قَالَ لَهُ ٱلسِّنْدَبَادُ ٱلْبَحْرِيُّ:

بَعْدَمَا رَكَنْتُ إِلَى ٱلرَّاحَةِ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ، تَنَعَّمْتُ خِلَالَهَا بِرَغَدِ ٱلْعَيْشِ، اِشْتَقْتُ إِلَى مُصَاحَبَةِ ٱلنَّاسِ، وَمُخَالَطَةِ ٱلْأَجْنَاسِ، وَحَدَّثَتْنِي نَفْسِي بِٱلسَّفَرِ إِلَى ٱلْبُلْدَانِ، فَأَخَذْتُ أَتَأَهَّبُ لِلرَّحِيلِ، فَٱبْتَعْتُ أَحْسَنَ ٱلسِّلَعِ، وَأَثْمَنَ ٱلْبَضَائِعِ، وَجَمَعْتُ كَثِيرًا مِنَ ٱلزَّادِ، ثُمَّ ٱمْتَطَيْتُ سَفِينَةً عَلَى وَشَكِ ٱلْإِبْحَارِ، فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى سَارَتْ عَلَى بَرَكَةِ ٱللَّهِ، تَدْفَعُهَا رِيحٌ طَيِّبَةٌ، وَنَحْنُ عَلَى ظَهْرِهَا نَتَحَدَّثُ فِي شَتَّى ٱلْمَوْضُوعَاتِ، وَخَاصَّةً فِي شُؤُونِ ٱلتِّجَارَةِ، وَنَتَأَمَّلُ مِنْ حِينٍ إِلَى آخَرَ حَيَوَانَاتِ ٱلْبَحْرِ ٱلْكَثِيرَةَ ٱلْعَجِيبَةَ، ٱلْكَبِيرَةَ مِنْهَا وَٱلصَّغِيرَةَ.

وَكُلَّمَا أَرْسَتِ ٱلسَّفِينَةُ فِي أَحَدِ ٱلْمَرَافِئِ أَوِ ٱلْجُزُرِ، نَزَلْنَا وَعَرَضْنَا مَا عِنْدَنَا مِنَ ٱلسِّلَعِ عَلَى ٱلتُّجَّارِ، وَٱبْتَعْنَا مِنْهُمْ مَا أَعْجَبَنَا مِنَ ٱلْبَضَائِعِ، وَٱلْهَدَايَا وَٱلتُّحَفِ.

هَكَذَا كَانَتْ رِحْلَتُنَا طَيِّبَةً أَوَّلَ ٱلْأَمْرِ، وَبَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ ثَارَتِ ٱلْعَوَاصِفُ وَهَاجَ ٱلْبَحْرُ، وَٱضْطَرَبَ ٱلْمَوْجُ، وَأَخَذَ يَدْفَعُ ٱلْمَرْكَبَ حَيْثُ شَاءَ، وَيَلْعَبُ بِهِ كَمَا أَرَادَ، فَضَلَّ ٱلرُّبَّانُ ٱلسَّبِيلَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لِلْعَوَاصِفِ، وَظَلَّ يُقَاوِمُهَا، وَيَبْذُلُ مَا فِي وِسْعِهِ لِلِاهْتِدَاءِ إِلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلسَّوِيِّ، لَكِنْ مِنْ دُونِ جَدْوَى.

وَلَمَّا سَكَنَتِ ٱلْعَوَاصِفُ، وَهَدَأَ ٱلْبَحْرُ، اِسْتَبْشَرَ ٱلرُّبَّانُ، وَتَوَقَّعَ أَنَّ ٱلطَّرِيقَ أَصْبَحَ سَهْلًا، وَأَخَذَ

يَبْحَثُ عَنْ عَلَامَةٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي نَحْنُ فِيهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَثَرًا، وَلَا مَعْلَمًا، فَتَعَاظَمَتْ حَيْرَتُهُ، وَبَدَتْ عَلَيْهِ عَلَامَاتُ ٱلِاضْطِرَابِ وَٱلْقَلَقِ.

لَمْ تَخْفَ عَلَى ٱلرُّكَّابِ حَيْرَةُ ٱلرُّبَّانِ، فَأَحَاطُوا بِهِ مِنْ كُلِّ ٱلْجِهَاتِ، وَسَأَلُوهُ:

ـ لِمَ نَرَاكَ حَائِرًا قَلِقًا؟

فَزَفَرَ زَفَرَاتٍ طَوِيلَةً، ثُمَّ أَجَابَهُمْ قَائِلًا:

ـ لَقَدْ دَفَعَتِ ٱلرِّيَاحُ ٱلثَّائِرَةُ ٱلسَّفِينَةَ إِلَى جِهَةٍ لَا أَعْرِفُهَا.

ـ مَا أَنْتَ صَانِعٌ؟

ـ سَأَعْتَلِي ٱلصَّارِيَ بَحْثًا عَنْ عَلَامَاتٍ أَهْتَدِي بِهَا.

ـ وَفَّقَكَ ٱللَّهُ، وَأَعَانَكَ.

وَصَعِدَ ٱلصَّارِيَ مِنْ فَوْرِهِ، وَأَمْعَنَ ٱلنَّظَرَ فِي كُلِّ ٱلْجِهَاتِ، وَلَمَّا بَدَتْ لَهُ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ، اِمْتَلَأَ قَلْبُهُ بِٱلْفَزَعِ وَٱلرُّعْبِ، وَنَزَلَ بِسُرْعَةٍ، وَأَمَرَ ٱلتُّجَّارَ بِطَيِّ ٱلْأَشْرِعَةِ، وَإِلْقَاءِ ٱلْمَرَاسِي، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ ٱلرُّكَّابُ فَزِعِينَ، وَقَالُوا لَهُ مُتَسَائِلِينَ:

ـ لِمَ تُرِيدُ أَنْ تُرْسِيَ ٱلسَّفِينَةَ فِي هَذَا ٱلْمَوْضِعِ؟

ـ حَتَّى نَنْجُوَ مِنْ شَرِّهِمْ.

ـ مَنْ هُمْ؟

ـ اَلزُّغْبُ، أَصْحَابُ تِلْكَ ٱلْأَرْضِ.

ـ مَا شَأْنُهُمْ؟

ـ إِنَّهُمْ قَوْمٌ شَدِيدُو ٱلشَّبَهِ بِٱلْقُرُودِ، كَثِيرُو ٱلْعَدَدِ،

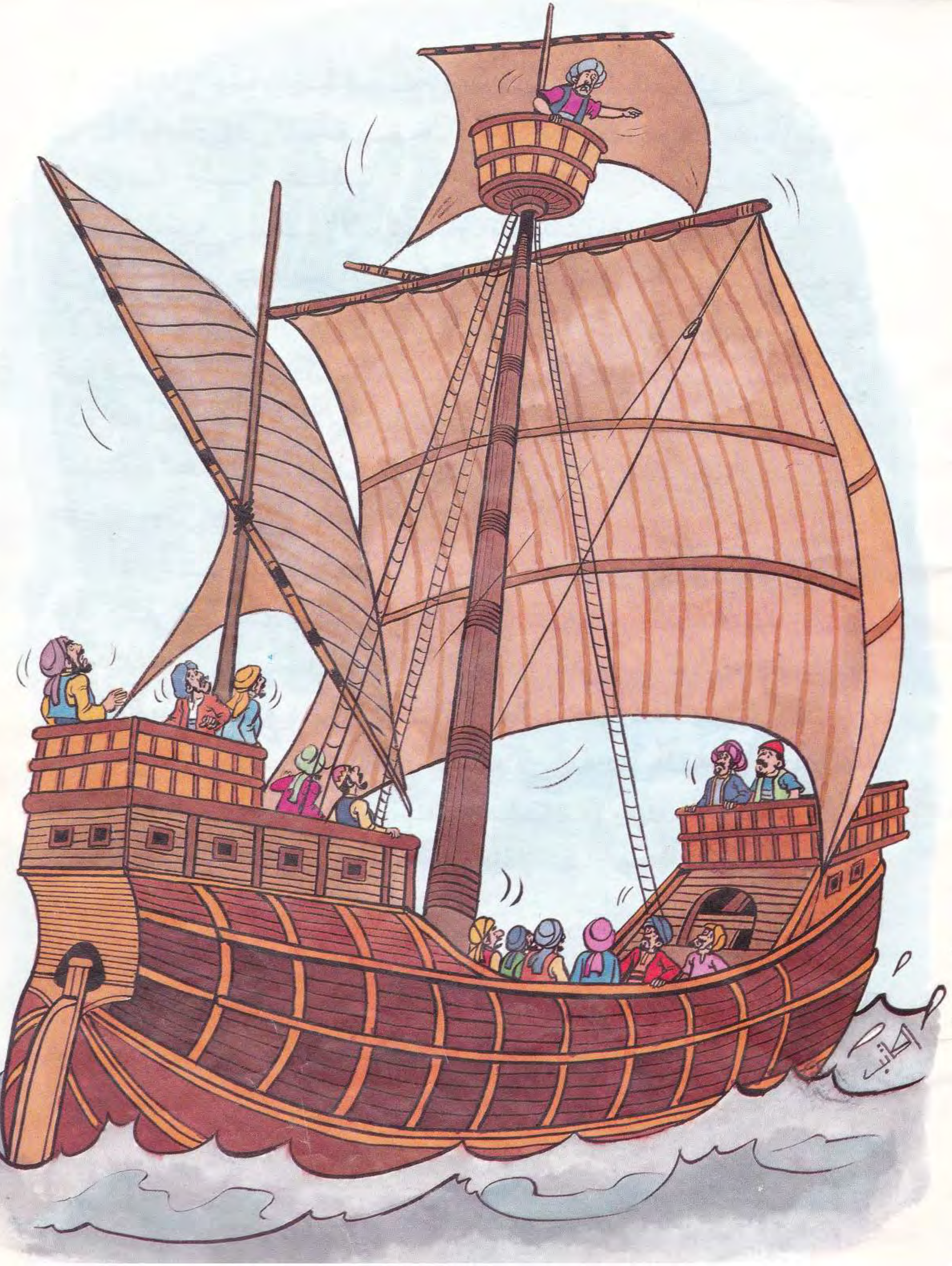

لَا قِبَلَ لَنَا بِقِتَالِهِمْ، إِنَّهُمْ شَرِسُونَ، قَلَّمَا يَسْلَمُ مِنْ شَرِّهِمْ مَنْ وَجَدَ نَفْسَهُ قُرْبَ أَرْضِهِمْ.

- بِمَ تُشِيرُ عَلَيْنَا؟
- لَيْسَ لَنَا إِلَّا ٱلصَّبْرُ وَٱلدُّعَاءُ.

فَرَفَعَ ٱلرُّكَّابُ أَيْدِيَهُمْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ، وَشَرَعُوا فِي ٱلِٱبْتِهَالِ إِلَى ٱللَّهِ، وَإِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا حَرَكَةً غَرِيبَةً فِي ٱلْبَحْرِ، فَأَشْرَفُوا عَلَيْهِ لِٱسْتِجْلَاءِ ٱلْخَبَرِ، فَأَبْصَرُوا أَقْوَامًا كَٱلْأَقْزَامِ، لَا يَتَعَدَّى طُولُ ٱلْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْبَارٍ، عُرَاةَ ٱلْأَجْسَامِ، يَزْحَفُونَ إِلَى ٱلسَّفِينَةِ كَرِجْلٍ مِنَ ٱلْجَرَادِ.

أَدْرَكَ ٱلرُّكَّابَ مَا لَا يُوصَفُ مِنَ ٱلْهَلَعِ وَٱلرُّعْبِ، وَٱخْتَفَى بَعْضُهُمْ بَيْنَ ٱلْبَضَائِعِ، بَيْنَمَا أَخَذَ ٱلْآخَرُونَ يَسْتَرِقُونَ ٱلنَّظَرَ، فَرَأَوا ٱلزُّغْبَ يَتَنَافَسُونَ عَلَى ٱلصُّعُودِ إِلَى ٱلْمَرْكَبِ، ثُمَّ تَسَلَّقَ عَدَدٌ مِنْهُمُ ٱلصَّوَارِيَ وَنَشَرُوا ٱلْأَشْرِعَةَ، وَقَطَعَ آخَرُونَ حِبَالَ ٱلْمَرَاسِي، وَأَبْحَرُوا إِلَى إِحْدَى ٱلْجُزُرِ، وَلَمَّا ٱنْتَهَوْا إِلَيْهَا، أَمَرُوا ٱلرُّكَّابَ بِٱلنُّزُولِ إِلَّا بَعْضَ ٱلْبَحَّارَةِ، وَسَارُوا بِٱلسَّفِينَةِ حَيْثُ لَا نَدْرِي.

حَمِدْنَا ٱللَّهَ عَلَى سَلَامَتِنَا مِنْ شَرِّ هَؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ، وَٱنْتَشَرْنَا فِي ٱلْجَزِيرَةِ نَبْحَثُ عَنِ ٱلْغِذَاءِ وَٱلْمَاءِ، فَلَمْ نَجِدْ مَا يُقْتَاتُ، فَأَكَلْنَا بَعْضَ ٱلْأَعْشَابِ، وَٱسْتَلْقَيْنَا عَلَى ٱلْأَرْضِ نُفَكِّرُ فِي مَصِيرِنَا.

وَبَعْدَمَا أَخَذْنَا نَصِيبًا مِنَ ٱلرَّاحَةِ، سِرْنَا هَائِمِينَ عَلَى وُجُوهِنَا، فَلَاحَ لَنَا مِنْ بَعِيدٍ بِنَاءٌ عَظِيمٌ، فَٱنْصَرَفْنَا إِلَيْهِ مُسْتَبْشِرِينَ.

بَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ تَزِيدُ، اِنْتَهَيْنَا إِلَى قَصْرٍ مُنِيفٍ، عَالِي ٱلْبُنْيَانِ، قَوِيِّ ٱلْأَرْكَانِ، لَهُ بَابَانِ كَبِيرَانِ، طَرَقْنَا أَحَدَهُمَا ثُمَّ دَفَعْنَاهُ فَٱنْفَتَحَ.

دَخَلْنَا مِنْ هَذَا ٱلْبَابِ، تَتَنَازَعُنَا مَشَاعِرُ ٱلْخَوْفِ وَٱلرَّجَاءِ، وَسِرْنَا فِي مَمَرٍّ وَاسِعٍ، أَفْضَى بِنَا إِلَى سَاحَةٍ فَسِيحَةٍ، تَتَصَدَّرُهَا أَرِيكَةٌ لَمْ أَرَ أَكْبَرَ مِنْهَا، يُوجَدُ حَذْوَهَا رَمَادٌ، وَآثَارُ نَارٍ وَسَفَافِيدُ، وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلْعِظَامِ.

اِلْتَفَتَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ وَاجِمِينَ، تَبْدُو آثَارُ ٱلْحَيْرَةِ عَلَى وُجُوهِنَا، وَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ، إِذْ زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَكَادَتْ تُخْرِجُ أَثْقَالَهَا، لِوَقْعِ أَقْدَامٍ قَادِمَةٍ نَحْوَنَا، فَٱنْخَلَعَتْ قُلُوبُنَا، وَشَخَصَتْ فِي ٱلْبَابِ عُيُونُنَا، فَأَبْصَرْنَا عِمْلَاقًا أَسْوَدَ يَدْخُلُ ٱلْقَصْرَ مُتَهَادِيًا.

تَقْتَحِمُ ٱلْعَيْنُ هَذَا ٱلْعِمْلَاقَ، وَلَا تَكَادُ تَثْبُتُ فِيهِ، لِأَنَّهُ بَشِعُ ٱلْمَنْظَرِ، دَمِيمُ ٱلْخِلْقَةِ، تَبْدُو عَلَيْهِ عَلَامَاتُ ٱلشَّرِّ وَٱلْغَضَبِ، عَيْنَاهُ تَتَّقِدَانِ كَٱلْجَمْرِ، أَنْيَابُهُ بَارِزَةٌ مِنْ فَمِهِ ٱلشَّبِيهِ بِفَمِ ٱلْجَمَلِ، شَفَتُهُ ٱلسُّفْلَى تَتَدَلَّى عَلَى صَدْرِهِ، أُذُنَاهُ مُنْبَسِطَتَانِ عَلَى كَتِفَيْهِ كَأُذُنَيِ ٱلْفِيلِ، أَظْفَارُهُ طَوِيلَةٌ كَمَخَالِبِ ٱلْوُحُوشِ.

اِرْتَعَدَتْ مَفَاصِلُنَا ، وَٱقْشَعَرَّتْ أَبْدَانُنَا ، وَلَمْ تَقْوَ أَرْجُلُنَا عَلَى حَمْلِنَا ، فَتَهَالَكْنَا عَلَى بَعْضِنَا نَنْظُرُ بِطَرْفٍ خَفِيٍّ إِلَى هَذَا ٱلْعِمْلَاقِ ٱلَّذِي كَانَ يَتَقَدَّمُ مِنْ سَرِيرِهِ ٱلْفَخْمِ ، يَتَبَخْتَرُ فِي سَيْرِهِ. وَلَمَّا ٱنْتَهَى إِلَيْهِ ، جَلَسَ عَلَيْهِ وَمَدَّ نَحْوِي يَدًا كَٱلصَّارِي وَٱنْتَزَعَنِي مِنْ أَصْحَابِي ، وَرَفَعَنِي فِي ٱلْفَضَاءِ ، فَإِذَا أَنَا كَفَرُّوجٍ فِي كَفِّهِ.

أَلْقَى عَلَيَّ نَظَرَاتٍ فَاحِصَةً ، ثُمَّ أَخَذَ يُقَلِّبُنِي كَمَا يَفْعَلُ ٱلْجَزَّارُ عِنْدَمَا يُرِيدُ ٱبْتِيَاعَ خَرُوفٍ مِنَ ٱلسُّوقِ ، ثُمَّ رَمَانِي عَلَى ٱلْأَرْضِ ، وَأَمْعَنَ ٱلنَّظَرَ فِي رِفَاقِي وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَلَمَّا رَأَى ٱلرُّبَّانَ - وَكَانَ عَرِيضَ ٱلْمَنْكِبَيْنِ ، مَفْتُولَ ٱلسَّاعِدَيْنِ ، كَثِيرَ ٱلشَّحْمِ ، مُكْتَنِزَ ٱللَّحْمِ - أَخَذَهُ بَيْنَ إِصْبِعَيْهِ ، وَوَضَعَهُ قُدَّامَ سَرِيرِهِ.

وَبَيْنَمَا كَانَ ٱلرُّبَّانُ يَرْتَعِشُ مِنْ شِدَّةِ ٱلْخَوْفِ ، كَانَ ٱلْعِمْلَاقُ ٱلْأَسْوَدُ يُؤَجِّجُ ٱلنَّارَ ، ثُمَّ تَنَاوَلَ سَفُّودًا طَوِيلًا مِنْ سَفَافِيدِهِ ، وَأَدْخَلَهُ فِي حَلْقِ ٱلرُّبَّانِ وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَطْنِهِ ، وَوَضَعَهُ عَلَى ٱلنَّارِ ٱلْمُلْتَهِبَةِ ، وَأَخَذَ يُدِيرُهُ بِسُرْعَةٍ ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ شَرَعَ فِي ٱزْدِرَادِ ٱللَّحْمِ ٱلْمَشْوِيِّ ، فَلَمْ تَنْقَضِ إِلَّا دَقَائِقُ مَعْدُودَةٌ ، حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ ، عِنْدَ ذَلِكَ ٱسْتَسْلَمَ لِلنَّوْمِ ، فَمَا هِيَ إِلَّا فَتْرَةٌ حَتَّى ٱرْتَفَعَ شَخِيرُهُ ٱلْمُزْعِجُ.

تَمَزَّقَتْ أَفْئِدَتُنَا ، وَتَفَتَّتَتْ أَكْبَادُنَا ، عِنْدَمَا رَأَيْنَا مَا صَنَعَ ٱلْعِمْلَاقُ ٱلْمُفْتَرِسُ بِرَفِيقِنَا ، وَقَضَيْنَا لَيْلَةً مِنْ أَسْوَإِ ٱللَّيَالِي ، لَمْ يُغْمَضْ لَنَا فِيهَا جَفْنٌ ، وَلَمْ يَهْدَأْ لَنَا بَالٌ ، وَلَمْ تَطْمَئِنَّ لَنَا نَفْسٌ.

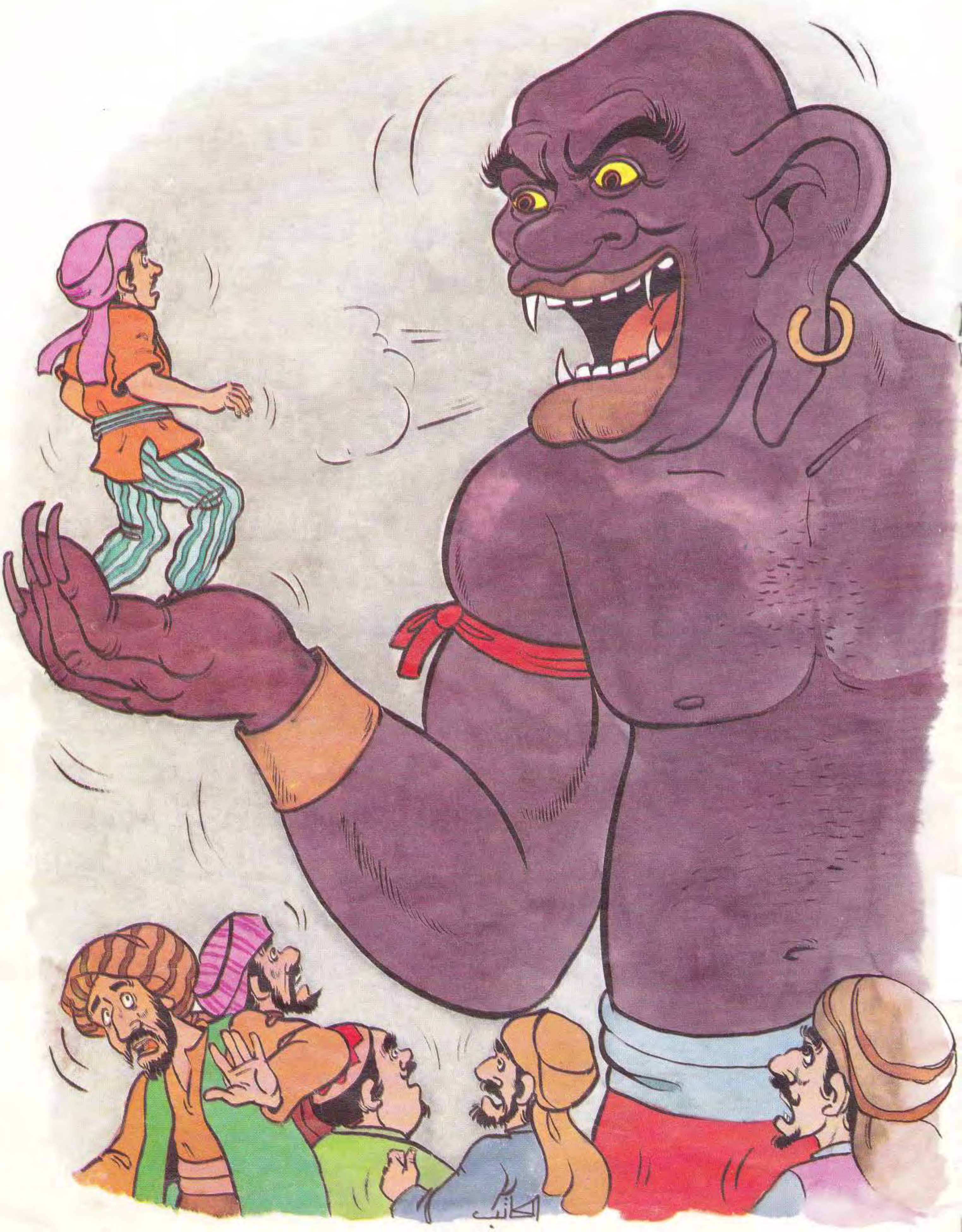
الكاتب

وَلَمَّا ٱنْتَشَرَ نُورُ ٱلصُّبْحِ، نَهَضَ ٱلْعِمْلَاقُ وَتَثَاءَبَ، ثُمَّ قَامَ مِنْ فَوْقِ سَرِيرِهِ وَسَارَ يَتَهَادَى، تَتَدَكْدَكُ ٱلْأَرْضُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَلَمَّا ٱنْتَهَى إِلَى ٱلْبَابِ، فَتَحَهُ وَخَرَجَ إِلَى حَيْثُ لَا نَدْرِي.

بَقِينَا فِي ٱلسَّاحَةِ، لَا نَتَجَرَّأُ عَلَى ٱلْكَلَامِ، فَضْلًا عَنِ ٱلْحَرَكَةِ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يُفَاجِئَنَا هَذَا ٱلْعِمْلَاقُ ٱلْمُتَوَحِّشُ، وَلَمَّا طَالَ غِيَابُهُ، أَخَذْنَا نَتَشَاوَرُ هَمْسًا، وَنَتَبَادَلُ ٱلْآرَاءَ حَوْلَ مَصِيرِنَا، تَارَةً بِٱللَّفْظِ، وَأُخْرَى بِٱللَّحْظِ، وَأَخِيرًا ٱتَّفَقَ جُلُّ ٱلرِّفَاقِ عَلَى أَنْ نُسَلِّمَ أَمْرَنَا لِلَّهِ، لِأَنَّنَا وَإِنِ ٱسْتَطَعْنَا ٱلْخُرُوجَ مِنَ ٱلْقَصْرِ، فَإِنَّنَا لَا نَقْدِرُ عَلَى ٱلْهُرُوبِ مِنَ ٱلْجَزِيرَةِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا مَرْكَبٌ نَمْتَطِيهِ.

وَلَمَّا أَوْشَكَتِ ٱلشَّمْسُ عَلَى ٱلْغُرُوبِ، عَادَ ٱلْعِمْلَاقُ إِلَى ٱلْقَصْرِ، وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِهِ، وَحَدَّقَ إِلَيْنَا وَاحِدًا وَاحِدًا، وَأَخِيرًا وَقَعَ ٱخْتِيَارُهُ عَلَى أَطْرَانَا لَحْمًا، وَأَكْثَرِنَا شَحْمًا، فَشَوَاهُ وَٱلْتَهَمَ لَحْمَهُ، وَتَرَكَ عِظَامَهُ كُدْسًا، وَٱسْتَلْقَى عَلَى سَرِيرِهِ، وَٱسْتَغْرَقَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، يُسْمَعُ شَخِيرُهُ مِنْ بَعِيدٍ.

قَامَ ٱلْعِمْلَاقُ فِي ٱلْغَدِ، بَعْدَ شُرُوقِ ٱلشَّمْسِ، وَٱنْصَرَفَ لِشَأْنِهِ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي:

ـ مِنَ ٱلْعَجْزِ أَنْ نَسْتَسْلِمَ لِهَذَا ٱلْعِمْلَاقِ، وَنُمَكِّنَهُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَنَتْرُكَهُ يَفْتَرِسُ كُلَّ يَوْمٍ وَاحِدًا مِنَّا.

ـ مَا تُرِيدُ أَنْ نَصْنَعَ؟

ـ نُلْقِي بِأَنْفُسِنَا فِي ٱلْبَحْرِ، فَقَدْ نَنْجُو مِنَ ٱلْغَرَقِ،

وَإِنْ هَلَكْنَا ، فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ غَرَقًا أَهْوَنُ مِنَ ٱلْقَتْلِ حَرْقًا.

- نَخْشَى أَنْ يُدْرِكَنَا قَبْلَ أَنْ نَصِلَ إِلَى ٱلْبَحْرِ ، وَيَنْتَقِمَ مِنَّا شَرَّ ٱلِانْتِقَامِ.

- وَهَلْ نَحْنُ آمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِنَا لَوْ بَقِينَا فِي ٱلْقَصْرِ ؟!

وَٱنْغَمَسْتُ فِي ٱلتَّفْكِيرِ ثُمَّ قُلْتُ لِرِفَاقِي :

- مَا دُمْتُمْ لَا تَرْغَبُونَ فِي ٱلذَّهَابِ إِلَى ٱلْبَحْرِ ، خَوْفًا مِنَ ٱلْعِمْلَاقِ ، فَلَا خَلَاصَ لَنَا إِلَّا إِذَا قَتَلْنَاهُ.

فَنَظَرُوا إِلَيَّ مُسْتَغْرِبِينَ ، وَقَالُوا لِي مُتَسَائِلِينَ :

- وَمَنْ يَتَجَرَّأُ عَلَى هَذَا ٱلْأَمْرِ ! ؟

- أَنَعْجِزُ عَنْ قَتْلِهِ وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ ؟

- لَكِنَّهُ عِمْلَاقٌ مُتَوَحِّشٌ.

- لِمَ لَا نُحَاوِلُ ، فَإِنْ قَتَلْنَاهُ نَجَوْنَا مِنْ شَرِّهِ ، وَإِنْ غَلَبَنَا لَقِينَا مَصِيرَنَا ٱلْمَحْتُومَ.

- أَصَبْتَ.

- ٱنْتَبِهُوا لِأَشْرَحَ لَكُمْ مَا سَطَّرْتُ.

- وَضِّحْ لَنَا ٱلْخُطَّةَ.

- إِثْرَ ٱنْغِمَاسِ ٱلْعِمْلَاقِ فِي ٱلنَّوْمِ ، نَهْجُمُ عَلَيْهِ بِٱلسَّفَافِيدِ ، وَنَفْقَأُ عَيْنَيْهِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ نَفْتِكُ بِهِ ، وَبِمَا أَنَّ مُحَاوَلَتَنَا قَدْ تَبُوءُ بِٱلْفَشَلِ ، فَإِنَّهُ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَصْنَعَ بَعْضَ ٱلْمَرَاكِبِ ، وَنَمْلَأَهَا بِٱلزَّادِ وَٱلْمَاءِ ، لِنَجِدَهَا عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ.

- لِلَّهِ دَرُّكَ أَيُّهَا ٱلسِّنْدَبَادُ.

وَتَحَمَّسُوا لِجَمْعِ ٱلزَّادِ، وَصُنْعِ ٱلْمَرَاكِبِ، وَكُنْتُ أُشَجِّعُهُمْ وَأَحُثُّهُمْ عَلَى ٱلسُّرْعَةِ، وَلَمَّا فَرَغْنَا مِنْ إِعْدَادِ مَا يَلْزَمُنَا، بَقِينَا نَنْتَظِرُ قُدُومَ ٱلْعِمْلَاقِ لِتَنْفِيذِ مَا خَطَّطْنَا.

لَمَّا أَشْرَفَتِ ٱلشَّمْسُ عَلَى ٱلْمَغِيبِ، دَخَلَ ٱلْعِمْلَاقُ ٱلْقَصْرَ يَتَهَادَى، وَشَوَى أَحَدَ رِفَاقِنَا وَتَنَاوَلَ لَحْمَهُ، ثُمَّ ٱسْتَلْقَى عَلَى أَرِيكَتِهِ، فَمَا إِنِ ٱسْتَغْرَقَ فِي ٱلنَّوْمِ حَتَّى وَضَعْنَا كُلَّ ٱلسَّفَافِيدِ فِي ٱلنَّارِ، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ فِي حُمْرَةِ ٱلشَّمْسِ عِنْدَ ٱلْغُرُوبِ، أَخَذْنَاهَا فِي نَفْسِ ٱلْوَقْتِ، وَقَصَدْنَا ٱلْعِمْلَاقَ نَسْتَرِقُ ٱلْخُطَا، وَأَدْخَلْنَاهَا فِي عَيْنَيْهِ، وَدَفَعْنَاهَا إِلَى أَعْمَاقِ مَحْجَرَيْهِ، وَهُوَ يَصِيحُ وَيَتَخَبَّطُ وَيُرْعِدُ وَيَتَوَعَّدُ، لَكِنَّنَا لَمْ نَعْبَأْ بِهِ، وَبَيْنَمَا نَحْنُ نَضْغَطُ عَلَى ٱلسَّفَافِيدِ بِكُلِّ مَا أُوتِينَا مِنْ قُوَّةٍ إِذِ ٱسْتَجْمَعَ ٱلْعِمْلَاقُ قُوَاهُ، وَدَفَعَنَا بَعِيدًا عَنْهُ، وَقَامَ يَبْحَثُ عَنَّا، يُرِيدُ ٱلْقَبْضَ عَلَيْنَا. فَأَسْرَعْنَا إِلَى ٱلْبَحْرِ، وَٱمْتَطَيْنَا ٱلْمَرَاكِبَ، وَأَخَذْنَا نَدْفَعُهَا بِٱلْمَجَاذِيفِ، فَمَا كِدْنَا نَبْتَعِدُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أَبْصَرْنَا ٱلْعِمْلَاقَ قَادِمًا تَقُودُهُ زَوْجَتُهُ، يَسِيرُ فِي إِثْرِهِمَا عَدَدٌ مِنَ ٱلْعَمَالِقَةِ.

أَخَذَ ٱلْعَمَالِقَةُ يَرْمُونَنَا بِصُخُورٍ كَبِيرَةٍ، أَغْرَقَتْ كُلَّ ٱلْمَرَاكِبِ إِلَّا مَرْكَبِي، وَكَانَ فِيهِ شَخْصَانِ مَعِي، فَأَخَذْنَا نُجَذِّفُهُ فِي مُنْتَهَى ٱلسُّرْعَةِ وَنَحِيدُ بِهِ عَنِ ٱلْمَوَاضِعِ ٱلَّتِي تَسْقُطُ فِيهَا حِجَارَةُ ٱلْأَعْدَاءِ، وَمَا زِلْنَا نَدْفَعُهُ عَنْ مَوَاطِنِ ٱلْخَطَرِ إِلَى أَنِ ٱسْتَطَعْنَا بَعْدَ لَأْيٍ أَنْ نَنْجُوَ مِنْ شَرِّ ٱلْعَمَالِقَةِ. اِرْتَمَيْنَا فِي ٱلْمَرْكَبِ، لَا نَقْوَى عَلَى ٱلْحَرَكَةِ، فَضْلًا عَنِ

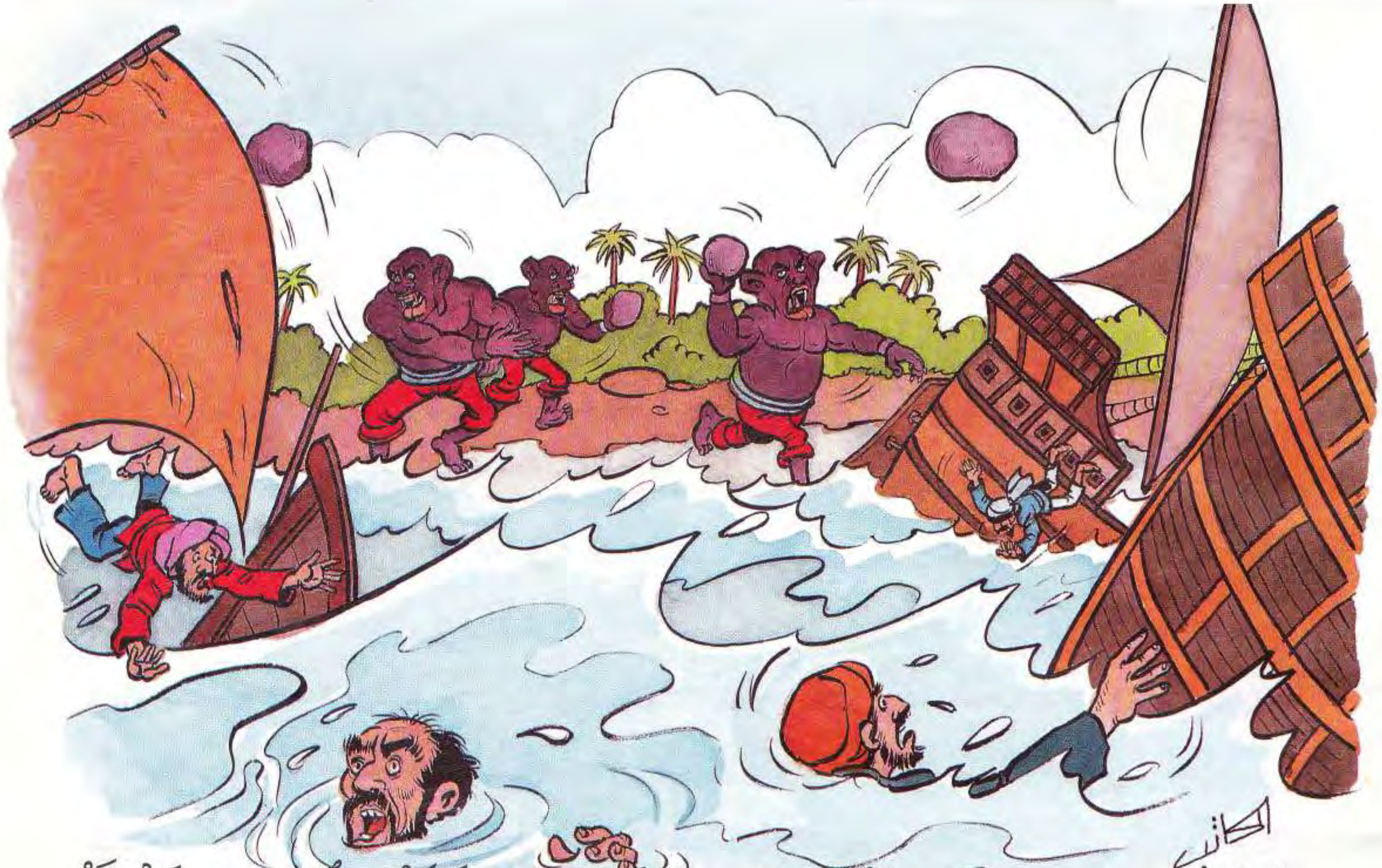

ٱلتَّجْدِيفِ لِشِدَّةِ ٱلْإِرْهَاقِ وَٱلتَّعَبِ، فَتَرَكْنَا ٱلرِّيحَ تَدْفَعُ ٱلْمَرْكَبَ بَقِيَّةَ ٱلْيَوْمِ، وَكَامِلَ ٱللَّيْلِ. وَلَمَّا ٱنْتَشَرَ نُورُ ٱلْفَجْرِ، رَأَيْنَا سَاحِلًا يَدْفَعُنَا ٱلْمَوْجُ إِلَيْهِ، فَٱمْتَلَأَتْ قُلُوبُنَا بِٱلْفَرَحِ، وَلَمَّا ٱنْتَهَيْنَا إِلَيْهِ ٱرْتَمَيْنَا عَلَى ٱلرَّمْلِ ٱلنَّاعِمِ، فَٱسْتَغْرَقْنَا فِي ٱلنَّوْمِ.

اِنْتَبَهْنَا بَعْدَ ٱلْعَصْرِ، نَكَادُ لَا نَقْوَى عَلَى ٱلْوُقُوفِ، لِشِدَّةِ ٱلْجُوعِ، لَكِنَّنَا تَحَامَلْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا، وَسِرْنَا مُتَثَاقِلِينَ نَبْحَثُ عَنِ ٱلْقُوتِ. وَبَعْدَ ٱلْغُرُوبِ، عُدْنَا إِلَى ٱلسَّاحِلِ، وَٱسْتَلْقَيْنَا عَلَى ٱلرِّمَالِ، يَعَضُّنَا ٱلْجُوعُ ٱلشَّدِيدُ بِنَابِهِ، فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى سَمِعْنَا فَحِيحًا مُرْعِبًا، فَرَفَعْنَا رُؤُوسَنَا فَزِعِينَ، فَأَبْصَرْنَا حَيَّةً عَظِيمَةً، كَجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ، تَزْحَفُ نَحْوَنَا، وَفِي لَمْحِ ٱلْبَصَرِ ٱبْتَلَعَتْ أَحَدَ رَفِيقَيَّ، وَعَادَتْ مِنْ حَيْثُ أَتَتْ.

كَادَ قَلْبَانَا يَتَوَقَّفَانِ عَنِ ٱلنَّبْضِ لِشِدَّةِ ٱلرُّعْبِ، وَقَضَيْنَا بَقِيَّةَ ٱللَّيْلِ سَاهِرَيْنَ، وَكُلَّمَا سَمِعْنَا حَرَكَةً تَضَاعَفَ خَوْفُنَا، وَلَمَّا ٱنْتَشَرَ نُورُ ٱلْفَجْرِ، تَنَفَّسْنَا ٱلصُّعَدَاءَ، وَقُمْنَا نَبْحَثُ عَنْ مَأْوًى نَلْجَأُ إِلَيْهِ فِي ٱللَّيْلِ حَتَّى نَكُونَ فِي مَأْمَنٍ مِنْ شَرِّ هَذِهِ ٱلْحَيَّةِ.

قَضَيْنَا ٱلنَّهَارَ نَتَجَوَّلُ فِي أَرْجَاءِ ٱلْجَزِيرَةِ، إِلَّا أَنَّنَا لَمْ نَعْثُرْ عَلَى مَكَانٍ آمِنٍ نَأْوِي إِلَيْهِ، فَٱشْتَدَّتْ حَيْرَتُنَا، وَتَعَاظَمَتْ أَحْزَانُنَا، وَأَيْقَنَّا بِٱلْهَلَاكِ، وَلَمَّا جَنَّ ٱللَّيْلُ بِظَلَامِهِ، تَسَلَّقْنَا شَجَرَةً عَالِيَةً، وَٱخْتَفَيْنَا بَيْنَ أَوْرَاقِهَا، نُرْهِفُ ٱلسَّمْعَ، فَمَا هِيَ إِلَّا بُرْهَةٌ حَتَّى سَمِعْنَا فَحِيحَ ٱلْحَيَّةِ ٱلَّتِي كَانَتْ تَتَشَمَّمُ رَائِحَتَنَا، تَتَقَدَّمُ مِنَّا رُوَيْدًا رُوَيْدًا، وَلَمَّا عَرَفَتْ مَوْضِعَنَا تَسَلَّقَتِ ٱلشَّجَرَةَ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى صَاحِبِي فَٱبْتَلَعَتْهُ وَنَزَلَتْ.

لَمْ أَدْرِ كَيْفَ ٱنْقَضَتِ ٱللَّيْلَةُ، وَكُلُّ مَا أَذْكُرُهُ، أَنَّنِي نَزَلْتُ مِنْ فَوْقِ ٱلشَّجَرَةِ فَوْرَ ٱنْتِشَارِ نُورِ ٱلصُّبْحِ، وَسِرْتُ هَائِمًا عَلَى وَجْهِي، تَتَسَابَقُ ٱلْهَوَاجِسُ إِلَى رَأْسِي، مُتَمَنِّيًا أَنْ يَطُولَ ٱلنَّهَارُ، وَأَلَّا تَغْرُبَ ٱلشَّمْسُ، حَتَّى لَا تَبْتَلِعَنِي ٱلْحَيَّةُ، لَكِنْ مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى ٱلْمَرْءُ يُدْرِكُهُ.

وَقَفْتُ بَعْدَ ٱلْعَصْرِ، قُبَالَةَ ٱلشَّمْسِ، أَنْظُرُ إِلَيْهَا كَسِيرَ ٱلْقَلْبِ، وَأَعُدُّ ٱلدَّقَائِقَ ٱلْبَاقِيَةَ مِنْ عُمُرِي، وَفَجْأَةً قُلْتُ فِي نَفْسِي: «مِنَ ٱلْعَجْزِ أَنْ أَسْتَسْلِمَ لِهَذِهِ ٱلْحَيَّةِ» وَٱنْغَمَسْتُ فِي ٱلتَّفْكِيرِ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ، شَرَعْتُ فِي قَطْعِ أَغْصَانِ ٱلْأَشْجَارِ مُنْبَسِطَ ٱلْأَسَارِيرِ، ثُمَّ جَعَلْتُهَا حِزَمًا، وَرَبَطْتُهَا حَوْلِي،

M 42

وَصَعِدْتُ أَعْلَى ٱلشَّجَرَةِ ، وَبَقِيتُ أَنْتَظِرُ قُدُومَ ٱلْحَيَّةِ ، فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى أَقْبَلَتْ تَسْعَى فِي مُنْتَهَى ٱلسُّرْعَةِ ، وَصَعِدَتْ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ وَأَخَذَتْ تَتَشَمَّمُنِي ، وَتَنْتَقِلُ حَوْلِي ، لَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعِ ٱبْتِلَاعِي.

ظَلَّتِ ٱلْحَيَّةُ تُحَاوِلُ طُولَ ٱللَّيْلِ أَنْ تَبْتَلِعَنِي ، وَمَعَ طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ ٱنْسَابَتْ مِنْ بَيْنِ ٱلْأَغْصَانِ ، وَذَهَبَتْ فِي سَبِيلِ حَالِهَا ، عِنْدَ ذَلِكَ تَخَلَّصْتُ مِنْ حُزَمِ ٱلْعِيدَانِ ٱلْمَرْبُوطَةِ إِلَى جِسْمِي ، وَنَزَلْتُ مِنْ فَوْقِ ٱلشَّجَرَةِ ، وَأَنَا أَرْجُو مِنَ ٱللَّهِ أَنْ يُخَلِّصَنِي مِنْ شَرِّهَا فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلْقَادِمَةِ.

وَقَفْتُ عَلَى ٱلشَّاطِئِ أُمْعِنُ ٱلنَّظَرَ فِي ٱلْأُفُقِ ، وَلِحُسْنِ حَظِّي لَاحَتْ لِي سَفِينَةٌ كَبِيرَةٌ فِي عُرْضِ ٱلْبَحْرِ ، فَرَبَطْتُ عِمَامَتِي فِي غُصْنٍ طَوِيلٍ ، وَجَعَلْتُ أُلَوِّحُ بِهِ فِي ٱلْفَضَاءِ ، فَلَمَّا رَآنِي بَعْضُ ٱلرُّكَّابِ ، أَعْلَمُوا رُبَّانَ ٱلسَّفِينَةِ ، فَوَجَّهَهَا نَحْوِي ، وَلَمَّا ٱقْتَرَبَتْ مِنَ ٱلسَّاحِلِ ، أَسْرَعْتُ إِلَيْهَا تَارَةً أَسْبَحُ ، وَتَارَةً أَمْشِي.

ٱمْتَطَيْتُ ٱلسَّفِينَةَ مُنْشَرِحَ ٱلصَّدْرِ ، وَشَكَرْتُ كُلَّ مَنْ كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنَ ٱلنَّاسِ ، فَهَنَّؤُونِي بِٱلسَّلَامَةِ ، وَسَأَلُونِي عَنْ قِصَّتِي ، فَرَوَيْتُهَا لَهُمْ مُتَأَثِّرًا كُلَّ ٱلتَّأَثُّرِ ، فَقَالَ أَحَدُ ٱلتُّجَّارِ:

- إِنَّ نَجَاتَكَ مِنْ شَرِّ ٱلْعَمَالِقَةِ ٱلْمُفْتَرِسِينَ ، وَمِنَ ٱلْحَيَّةِ ٱلَّتِي تَظْهَرُ لَيْلًا وَتَخْتَفِي نَهَارًا ، تَكَادُ تَكُونُ مُعْجِزَةَ هَذَا ٱلْعَصْرِ ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ نَزَلَ بِهَذِهِ ٱلْأَرْضِ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ.

فَرَفَعْتُ يَدَيَّ إِلَى ٱلسَّمَاءِ شَاكِرًا ذَاكِرًا : " لَكَ ٱلْحَمْدُ يَا رَبِّي. "

وَٱنْضَمَمْتُ إِلَى ٱلرُّكَّابِ ، أُجَاذِبُهُمْ أَطْرَافَ ٱلْحَدِيثِ ، حَتَّى وَصَلْنَا بَعْدَ أَيَّامٍ إِلَى جَزِيرَةٍ يَكْثُرُ بِهَا ٱلْعُودُ وَٱلصَّنْدَلُ ، فَتَفَرَّقَ ٱلتُّجَّارُ فِي ٱلْأَسْوَاقِ لِلْبَيْعِ وَٱلشِّرَاءِ ، أَمَّا أَنَا فَبَقِيتُ وَاقِفًا عَلَى ٱلسَّاحِلِ ،

فَدَنَا مِنِّي ٱلرُّبَّانُ وَقَالَ لِي :

- أَتُرِيدُ أَنْ نَتَّجِرَ فِي بِضَاعَةِ رَجُلٍ كَانَ مَعَنَا فِي ٱلْمَرْكَبِ وَلَكَ نِصْفُ ٱلرِّبْحِ

- بَلْ أَرْغَبُ كُلَّ ٱلرَّغْبَةِ، وَلَكَ مِنِّي جَزِيلُ ٱلشُّكْرِ.

- اِنْتَظِرْنِي بَعْضَ ٱلْوَقْتِ.

وَغَابَ عَنِّي لَحَظَاتٍ، ثُمَّ جَاءَنِي بِبِضَاعَتِي، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا وَإِلَى ٱلسَّفِينَةِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ مُسْتَغْرِبًا :

- أَلَيْسَتْ هَذِهِ ٱلسَّفِينَةُ ٱلَّتِي ٱغْتَصَبَهَا ٱلزُّغْبُ ؟

- هِيَ بِعَيْنِهَا، وَمَنْ أَنْتَ ؟

- اَلسِّنْدَبَادُ ٱلْبَحْرِيُّ.

- فَهَذِهِ إِذَنْ بِضَاعَتُكَ ؟

- نَعَمْ.

- خُذْهَا، بَارَكَ ٱللَّهُ لَكَ فِيهَا.

وَأَعْطَانِي إِيَّاهَا، وَدَعَا لِي بِٱلتَّوْفِيقِ، فَشَكَرْتُهُ عَلَى أَمَانَتِهِ، وَتَحَمَّسْتُ لِعَمَلِي، وَعَرَضْتُ مَا عِنْدِي لِلْبَيْعِ، وَٱشْتَرَيْتُ أَثْمَنَ ٱلسِّلَعِ، ثُمَّ ٱنْتَقَلْنَا إِلَى سَوَاحِلِ ٱلْهِنْدِ، ٱلْمَعْرُوفَةِ بِتِجَارَتِهَا ٱلرَّائِجَةِ، وَقَدْ غَنِمْتُ فِيهَا أَرْبَاحًا طَائِلَةً. وَمَا زِلْنَا نَنْتَقِلُ مِنْ مَرْفَإٍ إِلَى آخَرَ إِلَى أَنْ أَرْسَيْنَا بِٱلْبَصْرَةِ، فَوَدَّعْتُ رِفَاقِي، وَوَاصَلْتُ طَرِيقِي بَرًّا إِلَى بَغْدَادَ، دَارِ ٱلسَّلَامِ، أَحْمِلُ ٱلْمَالَ ٱلْوَافِرَ، وَٱلتُّحَفَ ٱلنَّادِرَةَ، فَٱسْتَقْبَلَنِي ٱلْأَهْلُ وَٱلْأَصْحَابُ، وَٱلْأَقَارِبُ وَٱلْخِلَّانُ، وَقَدْ أَنْسَتْنِي حَرَارَةُ ٱللِّقَاءِ مَا تَعَرَّضْتُ لَهُ مِنَ ٱلْمَصَائِبِ وَٱلْأَهْوَالِ.

~~2602~~

انتهى طبع هذا الكتاب
بالمطبعة الاساسية - بن عروس
في ١٥.٠٠٠ نسخة
فيفري 1993

مكتبة تونس الخضراء للأطفال

صدر ضمن هذه السلسلة

1 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الاولى»
2 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الثانية»
3 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الثالثة»
4 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الرابعة»
5 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة الخامسة»
6 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة السادسة»
7 - مغامرات السّندباد البحري : «الرحلة السابعة»
8 - الوزير والتّاجر
9 - صُرّة الجوهر
10 - بدران ويونان
11 - خبزة الأبناء
12 - الفيل «بَراتاب»
13 - الدّينصور الصغير
14 - الرّاعي الطّروب
15 - الصّيّاد الصّغير
16 - من حكم الشّيخ
17 - من أدوار جُحا
18 - الفيل الصّغير
19 - شبحُ رجُل مفقود
20 - لغز الخيط الأحمر

الثمن : ٠.٧٠٠ د.ت.

ISBN 9973 - 735 - 69 - 2
9973 - 735 - 72 - 2